بناء المقالة عند نزار قباني
- دراسة سيكولوجية -

م.د وفاء رفعت العزي
الكلية التربوية المفتوحة-مديرية تربية نينوى

م.م بسام خلف سليمان
كلية التربية الرياضية- جامعة الموصل

المؤتمر العلمي السنوي الأول لكلية التربية الأساسية (23-24/أيار/2007)

ملخص البحث :

((وكيف نكتب والأقفال في فمنا وكل ثانية يأتيك سفاح))

نزار قباني[1]

كتب نزار قباني الشعر والنثر وأنتج فيهما نتاجاً ثراً، وما مقالاته الأدبية إلا عطاء وافر في الحياة الأدبية التي اكتسبت منها انعكاسات واضحة عبر فيها عن العلاقة القائمة بين الأدب والفكر وبين اللغة والإبداع، وبين الضياع واللاضياع وكان حظ المقالة في هذا الخضم المعطاء مجموعات عديدة أبرزها (الشعر قنديل اخضر) و(العصافير لا تطلب تأشيرة دخول) و(الكلمات تعرف الغضب)[2]، وتحاول دراستنا الكشف عن اثر سيكولوجية نزار قباني في بناء المقالة لان المقالة لديه تأخذ على عاتقها مهمة خروج النوازع والاضطرابات وأحاسيس نفسه لتكون هذا النوع الأدبي المؤثر الذي يتجلى في بناء يحتوي على خطابات أدبية لها غايات ومقاصد قد تتشابه لديه في بناء القصيدة، وتتحول المقالة إلى قصيدة غنائية... وقد أفصح نزار عن غايته فيها حين قال: (لم تكن مجرد إيقاعات موسيقية أو لعبة مهارات لغوية ولا كانت حديثا في المطلق وإنما كانت حديثا في الشعر والحب والسياسة والحرية والديمقراطية والثورة وفي كل شؤون الحياة العربية وهموم الإنسان العربي)، والمقالة لديه تشكل موقفا وبنى تحمل كل معاني المسؤولية والالتزام الأدبي والقومي، فهي موقف له بناؤه الخاص تأتي خصوصيته من نفسية وشخصية نزار... وقد وظف لها مستويين من الأداء مستوى في الدلالة يعبر عن وظيفة وطنية تحولت بموجبها من مجرد أحاسيس وانفعالات إزاء أحداث ومواقف اعترت حياته أثرت في نفسيته تحولت إلى صور من النفس المتألمة، المتمردة الغاضبة. والمستوى الآخر في البناء الفني وظف له عناصر صياغة أدت دورها في كشف ووصف واقعه وما فيه من اضطراب وعدم وضوح الرؤية والتوتر وضعف الاستقرار وانعكاس ذلك على نفسه التي تميزت بأنها قلقة ومضطربة وغير متوازنة إلى حالة من انضباط النفس وتماسكها وصفائها، فسيكولوجية بناء المقالة مرتبطة لديه بنفسيته المتمردة الثائرة لإنتاج ما هو متمرد في النفس، والواقع العربي باحثا عن صور وبنى تحمل كل مكنونات نفسه ومن ثم تصب جميعها في التصميم العام للمقالة من خلال دلالات معنوية ولغوية لتشكل تأشيرات رفض وتمرد وانقلاب وهي تخاطب الذات الفردية والجماعية وفق استراتيجيات وتقنيات يراها نزار ضرورية لإثارة القارئ العربي في احتجاجاته ورفضه وغضبه وتطلعاته وكلها تأتي طواعية وعفوية دون اللجوء إلى التصنع والرياء اللغوي. فمقالاته تعبير صادق لعواطفه وأحاسيسه ونوازعه وانفعالاته المتنامية مع تنامي أحداث واقعه المرير.

Psychological Essay Structure of Nizar Kabani

Lecturer
Dr. Wafaa Rfaat Al-Eze
Open Education College

Assistant lecturer
Bssam Khalf Solaeman
College of Sport-University of Mosul

Abstract:

Nizar Kabani wrot poetry and prose ,he produced huge contribution. His essays was a big contribution in his lif in literature which acquired between the literature and thought, and between lass and unloss. ffect ofAnd The effect of the essay in this production field is an umber of groups, the most important ones are And ' sparrows don't want viza and words know anger this study "poetry is a green lamp Trysto reveal the Psychological effect of Nizar in essay structure: because his essay take an importan role in the excitement of disputes cofusion and feeling. this effective literary type magnifys structre, that contain literary speech, which have aims and purposes which are alike in stucturing the poem. and the essay will change to singing poem . this paper willreveal it through literary analysis to the groups of chosen essays from prose groups.

التمهيد:

أولاً: مفهوم سيكولوجية الأدب

كثرت في الآونة الأخيرة الدراسات السيكولوجية للأدب، وهي ليست حديثة، لأن " دراسات علم نفس الإبداع من الدراسات القديمة الجديدة في الآداب وفي النصوص الإبداعية على وجه الخصوص ذلك أنها ارتبطت بفتوح مدارس الدراسات النفسية التي نظرت في علاقة الإبداع الإنساني بالنفس البشرية من زوايا عدة ،وبوصف أن هذا الإبداع هو أحد تجليات النفس البشرية التي منها واليها ينتج الأدب الذي هو ضرورة أو حاجة من حاجات التعبير عن مكنونات النفس وما يعتريها من دوافع وانفعالات ومشاعر وأحاسيس الشخصية المبدعة، وان دراسة النص الأدبي، تعني معرفة ما يقدمه لنا الأديب من تحليل لعواطفه وأهوائه لأننا نراه من خلال ما يكتبه " عالم نفسي يحلل ويشرح ويصف الداء والدواء وقلما يخلو – كاتب – من وقفة أو وقفات نفسية "[4]، ولعل سبب ازدهار هذه الدراسات السيكولوجية للأدب هو وجود " دائرة التلاقي بين علم النفس والأدب تتمثل في كيفية تلقي العمل [3]

والاستجابة له والوقوف على تأثيره فينا ،بل وقدرته على تغييرنا، أولى خطوات اكتشاف هذا التأثر هو القراءة الصحيحة للعمل "[5] وما الدراسات النقدية السيكولوجية للنصوص الأدبية إلا تأكيد على العلاقة المتبادلة بين الحالة السيكولوجية للأديب وإبداعه المنتج وهو بالضرورة نشاط نفسي صادر من شخصية لها قدرات إبداعية تتجسد في تجليات ورؤى ومكونات نابعة من نفس الأديب، وقد أجمل الدكتور سامي الدروبي في كتابه علم النفس والأدب، الطرق التي تعالج فيها الدراسة السيكولوجية للآثار الأدبية فيما يأتي: فهي تارة تحلل أثرا معينا من الآثار الأدبية لتستخرج من هذا التحليل بعض المعلومات عن سيكولوجية المؤلف. وهي تارة أخرى تتناول جملة آثار المؤلف وتستخرج منها نتائج عامة عن حالته النفسية ثم تطبق هذه النتائج العامة في توضيح آثار بعينها من آثار، وهي تارة تتناول سيرة كاتب من الكتاب على نحو ما تظهر في أحداث حياته الخارجية وفي أمور أخرى كرسائله أو اعترافاته أو يومياته الشخصية ثم يبين من هذه الحالة نظرية في شخصية الكاتب، صراعاته، حرمانه، صدماته، عصيانه، لتستعمل هذه النظرية في توضيح كل مؤلف من مؤلفاته. وهي تارة تنتقل من حياة المؤلف إلى آثاره ومن آثاره إلى حياته موضحة هذه بتلك وتلك بهذه ملاحظة في حياته بعض الأزمات المنعكسة في آثاره وملاحظة طريقة انعكاس هذه الأزمات في آثاره [6] . كما أن أهمية الدراسات السيكولوجية للنص الأدبي تتجسد في المقدرة الدقيقة في تحليل النص وفق معطيات نفس الأديب فتتشكل قناعات ومثيرات في نفس القارئ والمتلقي، وهي عادة استكشافات جديدة لشخصية الأديب المتخفية وراء النص مما يشد القارئ للتواصل والانفعال وهو يتابع النص، كما أنها تساعد في استكشاف أبعاد التجربة الأدبية أو التجارب التي يقدمها، وتفسير الدلالات المختلفة التي تكمن وراء الأعمال الفنية [7] . وما تقدم للقارئ من رؤى واقعية أو مستقبلية للأحداث ،كما أنها تعكس الضوء على عناصر أساسية في إنتاج النص وهي:

آ . **الأصالة:** وتتضح في الميل إلى التجديد، وهي وظيفة مزاجية يصحب انطلاقها شعور بالراحة.

ب. **الطلاقة:** وتتكشف في مدى السهولة والسرعة التي يتم بها للشخص استدعاء اكبر عدد من الألفاظ أو الأفكار أو التخيلات.

ج. **المرونة:** وهي القدرة على أن تغير من نظرتنا إلى الأمور أو المشكلات، فإذا ما أعيانا الوصول إلى شئ من وجهة اهتدينا إليه من وجهة أخرى، وكثيرا ما يتوقف الابتكار على هذه الوظيفة، على أن المرونة وظيفة متخصصة في أنواع معينة من النشاط تختلف من شخص إلى آخر[8]. وخلاصة الأمر فان دراسة النص الأدبي من الوجهة السيكولوجية هي رحلة استكشافية تلقي الضوء على أهمية فهم نوازع نفسية المبدع في تشكيل النص الإبداعي[9] .

ثانياً: نزار قباني ومكونات شخصيته

ولد نزار قباني " في آذار عام 1923 في حي (مئذنة الشحم) بدمشق لأسرة ميسورة الحال، وكان أبوه توفيق قباني صاحب محل لصناعة الحلويات وقد شارك في مقاومة الانتداب الفرنسي على بلاده، تلقى دراسته الابتدائية والثانوية في الكلية العلمية الوطنية بدمشق، ثم التحق بكلية الحقوق بجامعة دمشق، وعمل فور تخرجه عام 1945 في السلك الدبلوماسي، وشغل عددا من المناصب الدبلوماسية في القاهرة وتركيا ولندن وبيروت والصين وأسبانيا.. ليستقيل من الوظيفة عام 1966 ليفتح دارا للنشر – في بيروت – ويعمل فيها "[10]. ويمكن أن نميز مراحل حياة نزار الأدبية على الشكل الآتي :[11]

1. مرحلة الطفولة الشعرية:

كما اسماها هو في كتابه (عن الشعر والجنس والثورة) وهي المرحلة التي قضاها نزار في أحضان أسرته والدفء العائلي، وقد مارس فيها الرسم والموسيقى والشعر والتي يعد نزار" الطفولة هي المفتاح إلى شخصيتي والى أدبي وكل محاولة لفهمي خارج دائرة الطفولة هي محاولة فاشلة"[12] وهي طفولة متميزة بالألوان والصور الشرقية المحببة إلى نفسه كما وصفتها ابنته (هباء):" حين كان طفلاً ضائعاً بين أحواض الورد والخبيزة وبين عريشة الياسمين وأشجار الليمون والسفرجل ونافورة الماء الزرقاء في بيت أبويه بدمشق القديمة، وهائماً مع أسراب الحمام والسنونو وقطط البيت وعندما بلغ سن العاشرة لم يترك (نزار) صنعة فن لم يجربها...إلى أن سار قاربه وهو في سن السادسة عشرة شاطئ الشعر"[13]، وحصيلة تفاعل هذه الطفولة الشعرية مع الحياة كانت مجموعاته الشعرية (قالت لي السمراء) عام 1944، و(طفولة نهد) عام 1948، و(سامبا) عام 1949، و(أنت لي) عام 1950 [14].

2. المرحلة الشعرية الناضجة:

وفي هذه المرحلة يخضع الشاعر" لمؤثرات أخذت تدعوه للخروج من إطار الذاتية وهموم الفردية إلى رحاب الآخرين ومشكلاتهم، وفيها يحرص على الثورة باسم التراب والأطفال والنساء وجميع الشهداء من اجل استعادة فلسطين المغتصبة بعد تغيير مجتمعنا المهترئ "[15] و أحداث هذه المرحلة لها تأثيرها الكبير في حياة نزار فالخيبة اثر اغتصاب فلسطين، و نكسة حزيران عام (1967) وأحداث أخرى ولدت لديه الخيبة والتمرد والبحث عن ذاته الضائعة فصنعت مجاميعه الشعرية: (قصائد) 1956، و(حبيبتي) 1961، و(يوميات امرأة غير مبالية) 1958–1968 و(قصائد متوحشة)1970، و(كتاب الحب) 1970[16] .

3. مرحلة التأمل والرؤية:

وهي المرحلة التي يصفها نزار بأنها " سفر نحو الحب الأفقي في مسيرة إنسانية طبيعية "[17] وتميزت بامتزاج عواطفه بفكره، والحقيقة بالخيال و " استطاع فيها أن يمسك الوردة والمسدس بيد واحدة ويرسم بصدق كل الحرائق والزلازل والأعاصير التي تعصف بالوطن العربي "[18]، وتميزت هذه المرحلة بنتاج أدبي وفير نشر فيها كتبه: (عن الشعر والجنس والثورة)1971، (قاموس العاشقين) 1971، و(أشعار خارجة على القانون) 1972، و(احبك أحبك والبقية تأتي) 1978، و(وإلى بيروت الأنثى مع حبي) 1978، و(كل عام وأنت حبيبتي) 1978، و(اشهد أن لا امرأة إلا أنت) 1979، و(هكذا أكتب تاريخ النساء) 1981، و(والأوراق السرية لعاشق قرمطي) 1989، و(ديوان لا غالب إلا الحب) 1990.

أما كتاباته النثرية فهي: (قصتي مع الشعر) 1973، و(يوميات مدينة كان أسمها بيروت) 1978، و(المرأة في شعري، وفي حياتي) 1981، و(العصافير لا تطلب تأشيرة دخول) 1981، و(الكلمات تعرف الغضب) 1983 بجزأين وخلال هذه المرحلة اكمل الأعمال الشعرية السياسية الكاملة التي بدأها منذ عام 1967. وتعد هذه المرحلة من اكثر مراحل نزار في الإبداع الشعري والنثري واستطاع فيها أن يصحح الآراء التي قيلت ضده، وكان خلاصتها دعوات ومهرجانات ومقالات وفضح وكشف وتمرد ورؤى نالت إعجاب الجميع من أدباء ونقاد وحكام وقراء[19] .

ومن الجدير بالذكر أن عوامل نفسية كثيرة كان لها تأثير كبير في حياة نزار، وقد أشار إليها في كتاباته النثرية، وهي: [20]

- موت أخته بسبب انتحارها لرفض أهلها الزواج ممن تحب، وهذا ما ولعه بالكتابة عن المرأة والحب بشكل ملفت للنظر، حتى وسموه بشاعر المرأة.
- وفاة والدته التي كانت ترعاه بشكل خاص والتي كانت منبع إلهامه مما أدى إلى شعوره بالحرمان.
- وفاة والده الذي كان رمزاً للنضال من أجل الوطن، ولّد لديه الخوف من الآتي وسوء المستقبل.
- سفره المتواصل أثراه رؤى ومشاهدات وحياة متنوعة، كونت لديه الشعور بعدم الاستقرار في الحياة وفي رؤاه، كما إن الحنين إلى الوطن يبكيه، والغربة تقتله من الداخل.
- أحداث حزيران وضياع فلسطين عمق إحساسه بالضياع.
- أحداث بيروت ودمارها زرعت فيه النقمة على أمة العرب وعلى حكامها بصورة كبيرة.
- مرضه الذي أصاب قلبه، زاد من إحباطه وخوفه وقلقه من استمرار الحياة أو توقفها.
- وفاة رفيقة دربه وحبيبته زوجته بلقيس كان له عميق الأثر في حياته.

المبحث الأول : اثر نفسية نزار في بناء المقالة

للمقالة تصميم خاص تتجسد فيه يتكون من: العنوان والاستهلال والعرض والخاتمة، وهي مقيدة بمحدودبة المساحة التي تكتب فيها، لكنها مع ذلك فان إمكانياتها الاستيعابية للمضامين والرؤى قد لا تحددها تلك القوالب لان بناء المقالة بمستويه الشكلي والبنائي يرتبط ارتباطاً وثيقاً برؤية الأديب في الطرح وحالته الانفعالية إزاء ما يكشفه لنا مضمونه من غايات ونوازع اجتماعيه أو ذاتيـــة، ومـــن هنـــا فـــان قيمـــة المقالـــة بنـــاء المقالـــة قـــد يـــرتبط " بقيمـــة الأفكـــار التي يبثها الكاتب فيها وعلى طريقة تجليتها وعرضها في حلة أدبية رائعة، ولكن القيمة الحقيقية للمقالـــة تعتمـــد فـــي المقـــام الأول علـــى مـــدى تجليتهـــا للشخصـــية الإنســـانية التـــي تتـــورى خلفها"[21].

وهذا ما يفسر إن غالبية الأدباء يمارسون فن المقالة واللجوء إليها في التعبير عن آرائهم الذاتية وبشكل ما يسهل وصولها إلى القراء، فالكثير من كتاب المقالة هم شعراء أو كتاب قصة أو مسرحية أو غيرها من الأنواع الأدبية، والأمثلة على ذلك كثيرة، فمثلا على سبيل المثال احمد أمـــين، وجبـــران خليـــل جبـــران، ومحمـــود احمـــد الســـيد، وميخائيـــل نعيمـــة، ومـارون عبـود، وغيـرهم كثيـر علـى امتـداد مسـاحة الأدب العربـي الحـديث. وكتـاب المقالـة: أدباء مثقفون ذو حس أدبي، وهم طائفة مبدعة ممن قرأت عيون التراث واطلعت على جميع الآداب وهم ممن أثقلتهم الآمال والهموم واصطدمت بمشاكل الواقع الاجتماعية والأدبية، فجاءت مقالاتهم منبعثة عن موقف وانفعال وتستهدف تعزيز موقف وإثارة، لذلك كانت مقالاتهم تؤدي دور القصيدة فتمسي حديثا حرا ساخنا أو مذكرات سياسية[22] والمقالة بسبب بنائها تتيح للكاتب أن ينوع في مضامينه وأساليبه التعبيرية فالمقالة " تتسع كل شيء وكل تجربة "[23]

ولان المقالة في غالب الأحيان هي تشكيل فني مباشر لشخصية الأديب وانفعاله وقلقه ورؤاه، فإنها " أحب الأنواع الأدبية إلى نفسه وأقربها إلى نزعته الأدبية الذاتية الحرة الصادقة الجريئة، وكان فيها شاعراً وأديباً ونديماً ومهذباً يشغله الإحساس عن عمق الفكر والحرية عن الدقة فلا عبرة في مقالاته بالموضوع، بل يسخر شخصيته المثقفة المجربة الصادقة يمتزج في بوحها لواقع بالخيال والذكرى بالحلم والنثر بالشعر وتدفق القلم الصحفي المتمرس بصدق الأديب المبدع "[24]، وكما قلنا سابقا إن المقالة ترتكز عللا تصميمها الذي تخو بموجبها المقالة لعرض موضوعها، إلا أن بناءها لا يتأكد إلا من خلال أسلوب الكاتب وأدائه الفني الذي يجري وينطلق من مستويه الدلالي واللغوي الذي بدوره يمنحها عمقا وشمولية وخصوصية في التوصيل.

كتب نزار المقالة في الصحف والمجلات ثم جمعها في مجموعاته الذكورة آنفاً وكتب بعضاً منها دون أن يفكر " في يوم من الأيام، أن يخرج من غرفتي إلى غرف الآخرين، إنه

قنديلي الخاص الذي أردت دائماً أن يكون لي وحدي بزجاجته الصفراء، وشعلته النحيلة، وعينه الخضراء، ولكن أصدقائي الطيبين، الذين أخذوا قلبي وضوء عيني لم يقبلوا أن يتركوا لي حتى هذا القنديل الصغير الذي كان صديق وحشتي وسريري. أخذوه وتركوا لي مكانه ورقة صغيرة تقول: نثرك مثل شعرك لا بد من مصادرته "[25] فمقالاته تعبير مباشر عن آرائه الشخصية إزاء الواقع الذي يعيشه، أو المواقف المترتبة على الأحداث أو رؤى أدبية ونقدية لظواهر منتشرة في عصره، كانت الهجمة عليه كبيرة فلجأ للمقالة للرد تارة ولتأصيل رؤاه وتوضيح وكشف ما خفي عن الأنظار في كل ما يحدث آنذاك. والمقالة لديه إعلان مباشر و "مرتبطة ارتباطاً جوهرياً بعدوانيته للتقليدية والثبات والتجمد المتقوقع"[26]. والمقالة لديه تجربة أدبية:" منبعها النفس وباعثها الانفعال الصادق فهي استقبال واعٍ للأحداث وهي في أرقى تصور لها تتعامل مع أثر الأحداث ومداها وتنأى عن الرصد المباشر لها وهي ترجمة فنية لما يمور في أعماق النفس من أشواق نحو إعادة تشكيل الواقع واستشراق آفاق المستقبل"[27]

فمقالاته هي الصورة المصغرة لحالات نفسه المتوترة والمنفعلة للواقع الذي يعيشه؛ ففي مجموعته (العصافير لا تطلب تأشيرة دخول) العديد من المقالات التي تحمل دلالات واضحة على نفسيته المتوترة والقلقة، فمثلا مقالته التي تحمل عنوان المجموعة، وهو عنوان محاط بهالة من التعبير الخيالي الجميل، وشبه قصائده بالعصافير التي تطير كيفما تشاء ومن بلد إلى بلد دون أن تستوقف، أو تطلب تأشيرة دخول، وقد كان العنوان تعبيراً صادقاً عما يجول في خاطره من أمنيات أن يسافر من بلد دون أن تستوقفه الحدود؛ فجاء العنوان اختزالا لكل المعاني الكبيرة التي يحاول الكاتب استحضارها فيما بعد؛ والعنوان لدى نزار في حضوره استفزازي، يحمل إنفعالاته ويؤكد عليها ويؤدي وظيفته الفورية في إثارة انتباه القارئ للقيم الجمالية والموضوعية فيه، ولهذا نرى أن عنوانات مقالاته تتركز في وظيفتها على "تحديد النص والإيحاء والقيمة الجمالية"[28] . ولنقرا بعضها: (قلبي على شريط فديو) و(الشعر والعروبة = جراحة في القلب) و(في ضيافة عمرو بن العاص)... الخ من العنوانات التي تشكل وتؤسس لأفكاره وتصوراته وكأنها الفضاء الذي يقتحم القارئ عندما يدخله فيلفت انتباهه ويوقظ وعيه ويخترق مخزونات عقله، وتزيح بعضها لتبني قناعات جديدة لموضوع المقالة.

أما الاستهلال في مقالاته فإنه تستند على صياغة تعبيرية فيها عناصر أسلوبية ما يمكنها من دعوة القارئ إلى أن يكون متابعا تستوقفه مثيرات هذا الاستهلال، وهي بلا شك انعكاسات نفسيه إزاء موقف مثير لنقرأ مقالته (في ضيافة عمرو بن العاص) التي يعلن الكاتب فيها عن وقع (مصر) في قلبه وما تثير فيه مشاعر حقيقية متدفقة: " عندما أعلن مذيع الطائرة أننا سنهبط بعد خمس دقائق في مطار القاهرة، وثب قلبي في صدري كفراشة، هكذا يحدث لي

دائما عندما أجد نفسي فجأة في مواجهة امرأة أحبها أو مدينة أحبها ..."[29] فاستهلال مقالاته في غالبيتها توقف القارئ وتحدث له صدمة وتوجه نظره إلى شيء آت؛ كما في مقالته (معركة اليمين واليسار في شعرنا العربي) يبدؤها باستهلال: " أتساءل وملف قضية الشعر العربي بين يدي، هل يحق لي أن أمد أصابعي إلى هذا الهرم المنحوت من حجارة الأعين، ومن ورق الورد ورفيف الأحلام؟ "[30] .

يفاجئ القارئ بسؤال محير، كان يخيف نزار ذاته؛ فالشعر لديه كالهرم الشامخ المنحوت من رؤى وهواجس رومانسية وتبرز إمكانية نزار واضحة في عمق اختياره للحظة البدء المتمثلة في الاستهلال ودقة اختيار تراكيبه اللغوية، معتمداً على الإيجاز والإيحاء دون الإطالة، فهي إشارات مرور موجزة وكأنها أشبه ما تكون " النواة المخصبة تلك التي ستتحول خلال العملية الإبداعية إلى جنين ومن ثم إلى كيان متكامل "[31] .

أما في العرض يسعى نزار وراء تدفق رؤاه والإفاضة فيها ليجيب على كل تساؤلات وحيثيات الموضوع الذي نستقرأ فيه حالة من حالات نزار النفسية، ويوظف نزار له أسلوباً خاصاً يدلل على " طريقة التفكير والتصوير والتعبير "[32] وقد تميز نزار في عرض موضوع مقالاته وأطلق العرض وفي بعض الأحيان لا ينهيه بل يبقيه مفتوحاً، ليجسد قيمتها الانفعالية وقوة شحناتها التي تظهر واضحة من أول تجربته الأدبية حتى انتهاء المقالة، في مقالته (الشعر قنديل اخضر) يركز فيها على الإتيان بأكبر عدد من المثيرات النفسية التي هي أساساً جزء من نفسيته الرومانسية الشاعرة، ويقدمها بأدوات تشخيصية ومحسوسة مثل: (القنديل، شمس، كسوف، خسوف، نار. .) وهي رموز لحالات سيكولوجية لتدل عليها مدلولات مثل: (داخلنا، الإنسان، عذاب جميل، تجربة ميتة، قبلة، نزوات، أشواق.. وغيرها)، يوظف لها الوصف والسرد والحوار الذاتي لتكمل بعضها البعض فتولد الاستجابة لدى القارئ وتؤدي وظيفتها في تقديم رؤاه بشكل مؤثر وواضح، يقول فيها: " الشعر قنديل اخضر ،علقته أصابع الله في داخلنا، قنديل أروع من ألف شمس وأكبر من ألف شمس، لأنه في اشتعال دائم لا يعرف كسوفاً ولا خسوفاً، الشعر نار الإنسان، ونار الإنسان لا تموت ما دام في شرايين قلبه قطرة زيت... قطرة حب، كتابة الشعر عذاب جميل، أما قراءته فعذاب أجمل، وحين يكون الاحتراق كاملاً، أي حين يستحيل الشاعر والمتذوق إلى جمر متوهج، ويختلط رماد الأول برماد الثاني تكون عملية النقل الشعري قد بلغت غايتها "[33] ويتابع في ترجمة رؤاه إلى حقائق تنمي تصورات مقنعة في ذهن القارئ فيتواصل في القول ويتواصل معه القارئ في المتابعة: (**إن** القراءة الشعرية ليست أبداً تكراراً لتجربة ميتة، إنها بعث التجربة بلحمها ونبضها وأعصابها مرة أخرى. القراءة الشعرية عمل متعدد الأطراف، وهي أشبه بالقبلة الناجحة يستحيل تنفيذها من جانب واحد، العمل الشعري لا يكتمل إلا (بالآخرين) وبغير (الآخرين) تبقى التجربة الشعرية في جبين الشاعر

كالعطر المحبوس في أحشاء البرعم)[34] وبهذا الإيجاز والتكثيف الدقيق في التعبير يجسد الموقف ألإيصالي لدى القارئ في عرضه لموضوع مقالته.

وخاتمة المقالة لديه هي نتيجة للكيفية الشعورية في تقديم الموقف أو المضمون وهي الخلاصة النهائية للقناعة المتولدة من العرض التي توصل إليها الكاتب من خلال رغباته الشعورية تجاه المضمون. فالمقالة السابقة يختمها نزار بقوله وهي خاتمة مطلقة تنتظر جواباً منتظراً: " إن القنديل الأخضر ينتظرنا؛ فلندخل معاً منطقة النار، أي منطقة الشعر "[35] وبهذا فهو يخالف المقاليين الذين يضعون لمقالاتهم خاتمة نهائية.

أما في مقالته (54) من مجموعته (يوميات مدينة كان أسمها بيروت) ليضع خاتمة لها مختصراً حبه العميق مخاطبا لبنان " إنني أيتها الغالي، حلم كبير يعبر أرض لبنان بحثاً عن الأرض التي تفوح منها رائحة الأنبياء، ويوم أجد هذه الأرض فسأحزم حقائبي وأحمل صورتك وصور أولادي وأنسحب على أطراف أصابعي متمنياً لعينيك اللبنانيتين الجميلتين أطيب.. وأسعد الأيام "[36]

المبحث الثاني : البناء الدلالي

البناء الدلالي للمقالة عند نزار قباني فقد تأثر كثيراً وارتبط ارتباطاً قوياً وحالات نفسه المتوترة، الحالمة، المتمردة، العاشقة، الغاضبة، الهادئة الوديعة، وهي ترسم لوحات مقالاته بألوان وأشكال متنوعة زاهية متألقة تارة، ومعتمة مظلمة، تارة ثانية، وصريحة، وواضحة، تارة أخرى، وهكذا دلالاته تتأثر بانفعالاته وحسب شحناتها الانفعالية المتباينة يكتب نزار مقالاته، ولما كانت " الألفاظ والعبارات ما هي إلا ترجمات للفكر الإنساني، وبالتالي ينعقد عليهما وجود الفكر في العالم المحسوس. وتعبر الألفاظ عن المعنى والدلالة، حيث أن الفكر في المعاني يناجي نفسه بألفاظ ينفعل بها؛ فيحسها تماماً، ولو أراد تجريدها لأشكل عليه الأمر "[37]

فنحن لا نستطيع أن نجرد دلالات الألفاظ في مقالات نزار من أحاسيسه؛ فأمريكا مثلاً في مقالته (الفيتو خنجر أمريكا في خاصرة العرب) مدلول يتناسب ومشاعره اتجاه هذه الدولة وما يكنه لها من غضب وسخرية إزاء ما تقوم به من أفعال " إذا كانت الحكمة الشائعة تقول: (لا يموت حق وراءه مطالب) فإن هذه الحكمة، إذا ترجمت إلى الإنكليزية تصبح: فكأنما خلق الله الولايات المتحدة الأمريكية لتغتال كل الشرائع00 ولتكون مع القاتل ضد القتيل، ومع الظالم ضد المظلوم.. ومع المعتدي ضد المعتدى عليه..ومع الحرامية ضد صاحب البيت"[38]

فغضبه وسخطه من هذه اللفظة جسدت دلالتها عندما استخدمها، وهكذا يجسد دلالات عباراته في كل مقالاته التي ارتبطت وبشكل كبير بنفسيته المتوترة، الغاضبة، الساخطة، والحزينة، والحالمة، والسعيدة المتألقة وهي تطوف عوالم الدنيا بحب كبير للإنسانية المتجسدة في

صورة امرأة؛ لذلك كانت مقالاته كقصائده، رسم للوحات بألوان من وجدانيات البشر، وأغاني تنشد على خارطة الأيام سمفونيات من الحزن والألم أو من الفرح والغبطة لتغفو انفعالاته وتخفت شحناتها.

ففي مقالته (صراع على قلب بهية) فدلالة لفظة بهية تأخذ مدى كبيراً وواسعاً لترمز إلى مصر: " هذه المرة الثالثة التي أكتب فيها عن بهية00 والكتابة عن بهية، تعطر اللغة00 وتبلل الأصابع بالماء00 والإقامة بين ذراعيها تطيل العمر وتفجر ينابيع الشعر00ودعوني أعترف لكم أنني أحب بهية وأنني ذهبت إلى القاهرة من أجل بهية، وأنني قضيت أيامي متنقلاً بين بساتين الليل وبساتين الكحل في عينيها 00"[39].

فالبناء الدلالي كما هو واضح في المقالة السابقة وفي كل مقالاته يجسد استخداماته للغة لتعبر عن معانيه الخاصة بذاته ونفسيته ذات الخصوصية المميزة له تتوحد في الناحية الشكلية للصيغ التعبيرية؛ فلفظة بهية مثلاً لها مدلولها المعروف بأنه اسم علم لأنثى لكنه يتجاوز هذا الشكل اللغوي إلى دلالة خاصة بنزار يرتبط بمشاعره وثقافته الخاصة التي تكون دلالات جديدة للألفاظ والتراكيب التعبيرية أو لنصوص معروفة لدى القارئ، وقد لاحظنا كيف غير دلالات الحكمة: (لا يموت حق وراءه مطالب) إلى (لا يوجد حقٌ وراءه أميركا)، وما هذا إلا: تعبير صريح عن خبرات معينة مر بها – نزار – إزاء هذه الصيغة التركيبية التي أثرت فيه بطريقة ما حتى شكلت تعبيره اللفظي لمفهوم ما بصورة معينة وهي تعبير عن تجارب عاشها نزار إزاء هذه الصيغة التعبيرية يتناسب وثقافته وتركيبته السيكولوجية[40] .

ومقالة بهية هي كشف صريح لشخصية وثقافة نزار في تركيبها البنائي لنقرأ منها: " ولأن بهية جذابة، ورخيمة الصوت، وخفيفة الظل، وطاغية الأنوثة00 فقد تقدم لطلب يدها عشاق كُثر منهم فقراء أو يدعون الفقر كالسوفيات00 ومنهم أغنياء ولكنهم غير أذكياء كالأمريكان، ومنهم من لا يملكون ثمن عشائهم كدول العالم الثالث00 ومنهم أولاد عمُ يضعون رجلاً في الجاهلية00 ورجلاً في نيس "[41].

فدلالة لفظة بهية وكل الألفاظ والتراكيب التعبيرية أخذت معانيها النفسية المتميزة والخاصة كما قلنا بشخصيته وثقافته، وهي وإن كانت تدل على مصر لكنها تبقى بشخص المرأة التي يحبها نزار والتي نسب إليها ليصبح شاعر المرأة وهي لا تفارق عقله وتفكيره وعواطفه المكرسة لها؛ فهي كالظل لا تهدأ نفسه إلا بالتعبير عنها، ولذلك أضفى على لفظة بهية بسبب مشاعره ودواخل نفسه الصادقة ما مكنها من الوصول لغايتها في التعبير عن أحاسيسه الداخلية المتراكمة، لتطفو على السطح شموعاً متألقة من الاستخدام اللغوي المبدع.

والبناء الدلالي لنزار في مقالاته له خصوصية تركيبية تميز بها نزار متأتية من خبراته الفطرية في التعبير دون تصنع أو رياء لغوي متكلف، وما يصدر من هواجس نفسه ينقله على

الورق بعفوية واضحة وذاتية عرف بها، ومقالاته ما هي إلا " في وصف النزوات الجامحة والقشعريرات المتوثبة "[42] وكذلك الرؤى العميقة الشديدة التأمل الناضجة في طرحها للأفكار المتنوعة، ومن قال عنه بالعابث فقد ظلمه فقراءة متأنية لمقالاته سيكتشف مدى جديته وحرصه وإيمانه (بسلطان الكلمة)[43]؛ فدلالة الكلمة وبناء التعبير لهما قدسية خاصة لدى نزار لا بد أن تجسد ما يدور في داخله " فشعور نزار بالذنب أمام حريق بيروت جعله, يعرف ما معنى أن يُقتل عصفور بريء في الفجر ويدلق فوق سماء الصيف النقية زجاجة حبر سوداء لذلك يعترف بانحرافه زمان احب بيروت كالبدو الرحل ومارس معها فعل الحب ثم هجرها عند الصباحية أن نزار يتقمص كل مشاعر الإثم "[44] حين هجر الناس بيروت وحجزوا الشقق الضخمة في حي (الاليزية ومايفير لندن) وجلسوا يتذكرونها[45]؛ فبيروت كلمة مقدسة لديه لابد أن يجسد لها كل الدلالات التي تتناسب وهذه القدسية. ومرارة حزنه على بيروت تولد لديه " ميولاً عدوانية تبحث عن ضحية وان هذه العدوانية وجدت في الذات العربية ضحية ملائمة يشن نزار عليها حربه الشعواء ويصب فيها نقمته على ما ينقص كرامته الفردية والقومية والشاعر رغم تقمصه للذات العربية ميال إلى تبرئة نفسه عن طريق رفضه للعيوب واعتبارها ولذا نراه يفرغ مساوئه على شخص آخر بعملية إسقاط, والإسقاط يبقى رد الفعل الأكثر عفوية أمام الكارثة "[46]

فعندما نتوصل إلى تركيز الخطر خارج ذاتنا وحصره بعيدا عنا نلجأ إلى مناورة ثانية من مناورة الإسقاط الذي من شأنه أن يطهرنا من نزوات العدوانية على شكل هجوم نشنه على الخارج وإن نزاراً بحكم تكوينه كان يبحث منذ الخمسينات إلى جانب الهدف الأنثوي يفرغ فيه شحنته العدائية وما قصيدته (خبز وحشيش وقمر) في أواسط الخمسينات إلا إرهاص بما سيقوله نزار في أواخر الستينيات, ذلك أن الظروف السياسية آزرت ميوله النفسية في توجيه الشاعر نحو تبخيس الذات التي جرحت بشكل لا يتحمله الإنسان المعتد بنفسه[47].

المبحث الثالث : البناء اللغوي للمقالة

إن الحصيلة اللغوية التي ميزت نزار في كل ما كتبه منبعها قراءته المتعددة للأدب العربي وللأدب غير العربي، والتراكم الثقافي الذي تكون لديه من خلال رحلاته لبلدان عاش فيها، ولما كان النشاط اللغوي ليس نشاطاً خارجيا فحسب، وإنما هو نشاط فكري والفكر كلام داخلي[48]؛ فقد تميزت لغته بأنها تعبير فكري يتضح ذلك من خلال الحبكة المتراصة التي تنمي مفردات أجزائها إلى سياق متسلسل متنامٍ ينتهي بوحدة إثارة وتشويق تجذب القارئ إليها، لأنه كما قال: " الكلمات أيها الأصدقاء، طيور بحرية تثقب قميص السماء الأزرق بمناقيرها الحادة . . وتخترق الأبعاد دون تأشيرة دخول "[49]

ويتابع حديثه بتناسق فكري متسلسل بأدق العبارات وأقصرها ليطبع ما في داخله من رؤى يشرع في الكشف عنها " الذين يطلبون من الكلمة تأشيرة دخول. . أو يفتشون ثيابها. . أو حقائبها بالأجهزة الإلكترونية، يضحكون على أنفسهم. فالكلمة تنتقل في دم الناس، وفي خلاياهم،

وفي أنفاسهم، وليس ثمة جهاز، مهما بلغت قدرته وحساسيته، يستطيع اكتشاف كمية الغضب في دم إنسان ما. . وليس ثمة عدسة في العالم، تستطيع تصوير دموع الشعب قبل أن تتشكل. ولم يخترع اليابانيون حتى الآن جهازاً يتنبأ بنوع الجنين المكتوم في رحم القصيدة"[50]

ونزار له قدرة لغوية تتمثل في " طلاقة التعبير وهي القدرة على استخدام كلمات ذات خصائص معينة والسهولة في تركيبها في أنماط لغوية مقبولة "[51]؛ فإن الإيجاز والتكثيف والوضوح في تراكيبه اللغوية لأداء دلالتها المعنوية بسلاسة وتدفق وسبب ذلك الطلاقة الفكرية التي يتمتع بها نزار تمكنه من ذكر أفكاره المختلفة المرتبطة بموضوع معين ثم الاستدلال والاستنتاج لحقائق واقعية[52]

فحزيران مثلا يحتل حيزاً كبيراً في ذاكرة نزار الغاضبة المتألمة يوظف لها ما امتلك من قدرة لغوية ينطلق بناء مقالته (عمان) مستفزاً ذاكرة العربي لافتا أنظاره إلى المستقبل " حزيران حفرة في التاريخ. . يجب أن نقفز فوقها. . حزيران درس. . وعبرة. . وفرصة لترميم عظامنا، لنقفز من جديد. . حزيران إرادة جماعية للانتصار. . لا مقبرة جماعية. . حزيران جرح في الذاكرة. . وليس نصباً تذكارياً أو يوماً نضيفه إلى قائمة المناسبات التي نقفل فيها الأسواق والمدارس. . ونتوقف عن العمل "[53] فقد أستدعى لها التنويع اللغوي المتمثل بالتكرار لكلمة حزيران التي تمكنه من مواصلة القارئ وشده لواصلة القراءة لبقية المقالة وهذا التكرار متعمدا يدلل على مقدرة وثقافة نزار في إيجاد علاقة مشتركة من الأحاسيس بينه وبين قارئه، فيتوسع في تنوعه اللغوي ليشمل تكراراً لعبارة: " إنني لا أغضب من حزيران لأنه أسال دمنا. . فقد تخثر دمنا بما فيه الكفاية وكان عليه أن يسيل. . لا أغضب من حزيران إذا كوانا بسيف من نار، لأن جلودنا تخشبت بما فيه الكفاية، وصارت بحاجة إلى حفلة كي. . لا أغضب من حزيران إذا أبكانا، لأن غدد الدمع في عيوننا قد توقفت عن العمل لا أغضب منه إذا أوجعنا وأحزننا؛ لأننا منذ عصورٍ نسينا نعمة الوجع وعبقرية الحزن، لن أقيم في هذه الأمسية قداساً لراحة شهداء حزيران ولكنني سأقرأ عليكم قصائد شديدة الانفجار. لأن حزيران، على ما يبدو، ألغى العقل العربي نهائياً. . وألغى النثر. . وألغى الخطابة. . فلنخطط لتأسيس عصرٍ عربي جديد "[54] وهذا التنويع اللغوي بالتكرار سمة من سمات البناء اللغوي في مقالات نزار نواجهها في مقالاته (الجزائر، ودمشق، وفي مجموعة إلى بيروت مع حبي، والخبز والزئبق وغيرها. .) .

أما النمط المميز في البناء اللغوي لمقالات نزار فهو (الحوار) وهو النمط الأسلوبي الذي استطاع نزار به أن يعبر عن انفعالاته وطبيعة شخصيته المنفتحة القادرة على المواجهة دون الانكفاء بعيداً عن الآخرين الذين وقفوا في طريقه وهو يواصل عطاءه الأدبي، والحوار قد يكون ظاهرياً أو باطنياً فمن النوع الأول يحاور الآخرين بعفوية واضحة كما في قوله: " أربعون مليوناً

من المصريين أخذني بالأحضان وأربعة ونصف.. لا يريدونني في مصر.. بعد هذا الاستفتاء العظيم الذي ربح فيه الشعر.. قررت أن أبقى ..

فلقد تأكدت أن الذين طالبوا بجلائي عن مصر.. لم يكونوا مصريين..

السيدة التي كلمتني بالهاتف عشية سفري.. كانت رائعة .

قالت: سمعت أنك مسافر غدا.

قلت: نعم .. لأمور عائلية .. ولن أغيب كثيراً ..

– يجب أن لا تسافر ..

– لماذا ؟

لأن المعركة التي انفجرت أثناء وجودك في مصر هي معركة غير عادية. إنها معركة جيل لا يزال يبحث عن هويته وانتماءاته.. وهي معركة أولادي الذين يجدون فيك وفي قصائدك خشبة خلاصهم.. فلماذا تنسحب ؟

– تأكدي أنني راجع ولكن ما أسمك سيدتي ؟

– أسمي مصر..."[55].

فالبناء اللغوي في هذا الحوار الظاهري أكد على صوت الكاتب النفسي في مواجهة الآخرين دون الانطواء والهزيمة، وإن التناوب في الحوار لتتبوء به أفكار نزار وتأخذ مداها في مقالته. وأكد من خلاله أنه غير منسحب لأن المعركة مع خصومه مستمرة، وتميز هذا الحوار على بعض ميزات شخصية نزار كالثبات وقوة شخصيته وقدرة عالية على المواجهة والردع دون توقف أو خوف. فقد ساهم الحوار في " بث الحرارة والحيوية في المواقف المميزة بشكل يحقق معه تطوراً متكاملاً لظواهر الواقع، تصويراً يعتمد التنوع في الرؤية، والشمول في آفاق التفكير "[56] وقد يضطر نزار أن يوظف كل مفرداته اللغوية الفصحى والعامية في حواره الخارجي ليسهل وصول رؤاه إلى القارئ .

أما الحوار الباطني: وهو الحوار الذي يطفو على البناء اللغوي كومضة من لا وعي الكاتب أو هو مناجاة النفس أو حوارٌ ذاتيٌ يعبر عما يلتصق في داخل نزار من أحلام، أو آمال أو أحزان مخفية في داخله لا يريدها أن تتكشف للآخرين لكنها وبدون إرادة منه تظهر في هذا الحوار الداخلي الباطني، في مقالته (دمشق) يحاور نفسه فيما يتمنى أن يكون، وهو حوار همس، يتصاعد ليصبح كأغنية غافية في داخله تصعد متألقة إلى لسانه، فيده، التي تخطها بلغة شديدة الإيجاز مصحوبة بشحنات من انفعالاته المتراكمة في داخله " لا أستطيع إلا أن أكون حمامةً.. أو بنفسجة.. أو عريشة عنب.. لا أستطيع إلا أن أكون قصيدة.. أو مئذنة.. أو سفرجلة.. لا أستطيع إلا أن أكون سمكة في الفرات، أو سنبلة في حوران، أو صدفة على رمال اللاذقية في الشام لا أستطيع أن أكون فيلسوفاً.. أو واعظاً.. أو حكيما.. لا بد لي أن أكون في داخل

الجنون، أو في داخل الشعر.."[57] أو كقوله " أو يقول لي – قلب نزار – (أنا تعبت ...؛ فأبحث عن حصان غيري...)[58].

وهكذا يجري الحوار الباطني الخفي في تيار الشعور النفسي لنزار ندركه حين نتوقف في قراءتنا للمقالة وقفة عقلية عندما نتأمل لما يحدث في عملية الاستبطان.. فيصبح شعوره تياراً متصلاً من صور بصرية (حمامة، بنفسجة، عريشة، عنب، مئذنة...الخ) وغيرها من الصور الحسية[59]

ومما هو مألوف في بيئته الشامية والتي فارقها وبقيت صورها عالقة في داخله فظهرت حين أستدعى الموقف أن يرسمها في هذا الحوار الباطني الجميل.

ومن أساليب البناء اللغوي التي وظفها نزار في مقالاته، أسلوب السرد بأبسط أنواعه الذي يعني التسلسل الزمني والتاريخي، لمتوالية من الأحداث حقيقية أو خيالية عرضها بوساطة اللغة ضمن تسلسل زمني معين [60] . ويظهر السرد الذاتي مسيطراً على مقالاته ليكشف عن رؤاه الشخصية مباشرة للقارئ وبلغة قريبة لفهمه وإدراكه فمثلاً قوله: " أحمل قلبي كعصفور بحري طار خمسين عاماً.. ولا يزال يبحث عن جزيرة يلتجئ إليها.. قلبي عصفور مرهق.. والإرهاق نهاية طبيعية لكل من يستهلكون قلوبهم أكثر من اللازم.. ويشغلونها أكثر من اللازم.. ويحرقونها أكثر من اللازم واعترف لكم أنني شغلّت قلبي ليلاً ونهاراً كالصيدليات المناوبة.. دون أن أعطيه إجازة أو أسمح له بشرب فنجان شاي.. أو تدخين سيجارة..؛ فأحترق "[61]

واللافت للنظر أن السرد لدى نزار فيه إسقاط لنفسيته الذاتية يتضح من قراءتنا بعض ملامح نزار.. الحالمة.. المرهقة.. التي تعبر عن معاناته وخوفه وهو مريض في قلبه الذي أتعبه الحب والسفر وتبدل الوجوه والأماكن لا يشعره إلا بالغربة النفسية غير الطبيعية والتقلب في مشاعره التي لا تعرف الاستقرار لذلك يستمر بسرد أسباب مرضه قائلا: " وهكذا ظل قلبي يركض.. يركض.. ويركض.. ويقفز من نجمة.. إلى نجمة.. ومن غمامة إلى غمامة.. ومن امرأة جميلة.. إلى امرأة أجمل.. ويحصد الورد.. والمجد.. والميداليات.. إلى أن وقع من شدّة الإرهاق.. ووقعت أنا معه"[62] فهو بهذا السرد الذاتي لمعاناته يعبر عن شخصيته المسافرة غير المستقرة وهو يطوع لها الأفعال والكلمات التي تدل على الحركة كمثل (يركض، يقفز، نجمة، غمامة، إلى، أجمل ..)

ومن الأساليب الأخرى في بنائه اللغوي الوصف وهو يرتبط بالسرد لأنه أحد أدواته التعبيرية وما يهمنا بالوصف هو الوصف النفسي لحالات نزار الشعورية فيفسرها ويطيل النظر في دواخلها الباطنية كاشفاً لها كما هو في مقالته السابقة الذكر(عمان) التي يصف وقع مأساة حزيران عليه .

وكذلك يصف مشاعره للوطن العربي ويطابق أوصافه مع جسده يقول:" لا فرق بين جغرافية الأرض العربية وبين جغرافية جسدي، كل جبال الوطن العربي هي امتداد لكبريائي، وكل بحاره وأنهاره.. وأمطاره هي امتداد لدموعي، أنني أشعر في بعض الأحيان أن مساحات جلدي هي مساحات الصحراء العربية إذا عرِقَتْ عرِقتُ وإن نزفتْ نزفتُ، وإذا انكسرت نخلة واحدة في مكان ما من هذا الوطن، بصرف النظر عن اسمها وعمرها وجنسها، أشعر أن الذي انكسر هو قلبي "[63]

أما أسلوب الاستفهام فهو من أبرز الوسائل التشويقية التي تثير القارئ وتتقصد انتباهه لمعرفة الإجابة عن الأسئلة المطروحة كقوله:" إذن فمن أين جاءت بلقيس؟ وكيف تناديه (يا أبي؟)... ماذا يربط بلقيس بأبي عمّار؟ "[64] فيبقى القارئ حائراً في اسم بلقيس هل هي زوجة نزار أم هي ابنة فعلية لأبي عمار (رحمه الله؟) وبعد سرد لتفاصيل الأحداث يخبرنا على لسان أبى عمار يقول: " والتفت إليّ أبو عمار يا نزار أن الفتاة التي تزوجتها أنت فيما بعد هي رفيقة السلاح التي جاءتنا إلى الأغوار في آذار (1968)، وأكلنا معها خبزاً.. وزيتوناً.. وبيضاً مسلوقاً.. لذلك يا أخي نزار نحن نشيعها كمناضلة فلسطينية وندفنها إلى جانب الشهداء الفلسطينيين، ونلفها بالعلم العراقي والفلسطيني تكريماً للأرض التي أطلعتها، وللثورة التي نذرت نفسها لها..."[65] وتتنوع أغراض الاستفهام لدى نزار البلاغية من إنكاري، وتعجبي، وتحقيري... الخ.

أما مفرداته اللغوية؛ فهي مفردات بسيطة وواضحة وأن بناءها يعتمد على المعنى والدلالة التي تتناسب ونفسية نزار المنطلقة والحالمة.

خاتمة البحث

يتبين لنا مما سبق أن بناء المقالة عند نزار قباني يرتبط ارتباطا وثيقاً بسيكولوجية شخصيته وأن المقالة انعكاس واضح وأكيد لمشاعره ونوازعه وتعبر عن مكنونات نفسه وعلى وجه الخصوص ما أرتبط بالمشاعر الوطنية الجياشة.

كما أن كتابة المقالة لديه يمنحه فضاءاً واسعاً للكشف عن رؤاه وتطلعاته المستقبلية ولذا نرى ملامح نزار تتجلى وبشكل دقيق في مقالاته المتنوعة. يتبع نزار التصميم الخاص بالمقالة التقليدي ولا يخرج عنه فهو ملتزم بصب مضمون موضوعاته به، ولكنه تميز عن المقاليين بأنه قرب المقالة من لغة الشعر المتدفقة العاطفية المنفعلة كما إن المقالة تتطور مع تطور مراحل نزار الحياتية وهذا التغير قد يكون في المضامين أو في البناء الدلالي أو اللغوي، كما لا تخلو مقالاته من قدرة فائقة في التعبير والميل في التنوع الأسلوبي مؤكداً على سمات خاصة تجسدت في كتاباته وهي الأصالة والطلاقة والمرونة وهي قدرات تهديه إلى أقصر الطرق إلى التأثير والتشويق بالقارئ.

ومن هذا التنوع الأسلوبي وظف التنوع اللغوي المتمثل بالتكرار، والحوار بنوعيه الخارجي والباطني وهو لا يتقصدهما وإنما عفوية الطرح وشدة الانفعالية تحركه باتجاه الحوار تشكيل قناعة أو إقامة جسور بينه وبين القارئ، ومن وسائله التعبيرية السرد الذاتي والوصف والاستفهام بكل أغراضه البلاغية ومن كل ذلك جاءت لغته سهلة وواضحة وقريبة من مشاعر القارئ وهواجسه الآنية أو المستقبلية.

ومن النتائج التي نحاول في هذا البحث أن نلفت الآخرين إليها إن كل ما كتبه نزار قباني لم يكن عابثاً في رؤاه وأفكاره، ولاسيما في مقالاته التي أوصلتنا إلى هذه النتيجة، وإن إعادة لقراءة أدب نزار سواء أكان شعراً أم نثراً سنجده أدباً صادقا وعفويا ونابعاً من فطرة شرقية يحاول برؤاه وفكره أن يوصلنا إلى حقائق موجودة ولكنه يوقظها فينا بوخزنا على العظم لعلنا نستفيق من بؤسنا وخداعنا وريائنا لنكمل الحياة بخطى واثقة وبثقة بأنفسنا التي باتت تموت يوماً بعد يوم. كما أن بناء المقالة قد يتغير ولا يسير على نمط هيكلية المقالة المعروفة وذلك حسب انفعالاته تجاه ما يريد أن يعبر عن رؤاه حول موضوع ما، فالاستهلال قد يكون سؤالاً، أو حادثاً مشهوراً، أو صورة من صور واقعه يرسمها بشكل مصغر، ثم تكبر؛ وتكبر حتى تتضح الرؤية حولها، ولا تمنعه نفسه المتألمة من أن تبقي العرض مفتوحاً ينتظر جواباً مستقبلياً، وكل ذلك لأنه لم يحصل هو ذاته على ذلك الجواب، ولأن إحساسه بأن حياة الإنسان العربي مؤجلة دوماً وفي حالة انتظار مر.

هوامش البحث ومصادره ومراجعه:

1. قصتي مع الشعر، نزار قباني، منشورات نزار قباني، 1973 :23.
2. فن المقالة عند نزار قباني، د.وفاء رفعت، (قيد الطبع)، 2007 :3.
3. في علم نفس الإبداع، رفقة محمد دودين، مجلة عمّان، العدد الواحد بعد المائة، تشرين الثاني، 2003:81.
4. علم التجربة الأدبية في دائرة التصور النفسي، د. صابر عبد الدايم، مجلة الفيصل، العدد 140 :32.
5. في علم نفس الإبداع، المصدر السابق :34.
6. التفسير النفسي للأدب، د. سامي الدروبي، دار الثقافة، بيروت، 1973 :32.
7. المصدر نفسه :40.
8. المصدر نفسه :41.
9. روائع نزار قباني، سمر الضوي، دار الروائع والتوزيع، بيروت، ط3، 2004 :7. وينظر: نزار قباني شاعر المرأة، مجدي كامل، دار الكتاب العربي، دمشق، ط1، 1994: 28.
10. ينظر: عن الشعر والجنس والمرأة، نزار قباني، منشورات نزار قباني، بيروت، ط5،) د.ت):46.
11. النرجسية في أدب نزار قباني، د. خريستو نجم، دار الرائد العربي، ط1، 1983 :181-182
12. قصتي مع الشعر، المصدر السابق: 114.
13. نزار قباني، هباء قباني، انترنيتwww.nizar.ealwan.com،
14. نزار قباني في مملكته الشعرية، أحمد مصلح، مجلة عمّان، العدد 37، تموز، 1998: 9.
15. المصدر نفسه :11.
16. النرجسية في أدب نزار قباني، المصدر السابق :181-182.
17. قصتي مع الشعر، المصدر السابق :16.

18. عن الشعر والجنس والثورة، المصدر السابق :25.
19. فن المقالة، محمد يوسف نجم، دار الثقافة، بيروت، 1968: 63. وينظر: فن المقالة الأدبية في العراق، وفاء رفعت، أطروحة دكتوراه مقدمة إلى جامعة الموصل – كلية الآداب، 1997. وينظر: فن المقالة الأدبية في أدب احمد أمين، محمد صالح الحافظ، أطروحة دكتوراه مقدمة إلى كلية الآداب – جامعة الموصل، 1999.
20. فن المقالة عند نزار قباني، المصدر السابق :7.
21. فن المقالة الأدبية في العراق، المصدر السابق :21. وينظر: المقالة عند محمود درويش، بسام خلف سليمان، رسالة ماجستير، مقدمة إلى كلية الآداب – جامعة الموصل،2001: 77.
22. نحو مقالة أدبية جديدة، عبد الجبار المطلبي، الحلقة الثالثة، مجلة ألف باء، بغداد، السنة الثامنة، تشرين الأول، 1975 : 44.
23. نحو مقالة أدبية، المصدر السابق :44.
24. المصدر نفسه :45.
25. الشعر قنديل أخضر، نزار قباني، منشورات نزار قباني، بيروت، ط15،)د.ت) :5-6.
26. التجربة الأدبية في دائرة التصور النفسي، المصدر السابق :12.
27. قضايا الشعرية،رومان ياكوبسون، ترجمة: محمد الولي، ومبارك حنون، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط1، 1988: 33.
28. والكلمات تعرف الغضب، نزار قباني، منشورات نزار قباني، بيروت، ط1، 1983 :88/2.
29. الشعر قنديل أخضر، المصدر السابق :26.
30. الشعر قنديل أخضر، المصدر السابق : 27.
31. الاستهلال، فن البدايات في النص الأدبي، ياسين النصير، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1993 : 18.
32. الأسلوب، أحمد الشايب، دار المعارف، القاهرة، 1945: 33.
33. الشعر قنديل أخضر، المصدر السابق : 53 .
34. المصدر نفسه :54.
35. المصدر نفسه :57.
36. يوميات مدينة كان أسمها بيروت، نزار قباني، منشورات نزار قباني، 1978: 187.
37. علم النفس اللغوي، د. نوال محمد عطية، مكتبة أنجلو المصرية، القاهرة، ط1، 1975 :11 .
38. والكلمات تعرف الغضب، المصدر السابق :22.
39. العصافير لا تطلب تأشيرة دخول، نزار قباني، منشورات نزار قباني، بيروت، ط3، 1984 :63.
40. علم نفس اللغوي، المصدر السابق :42.
41. العصافير لا تطلب تأشيرة دخول، المصدر السابق :23- 25.
42. نقدات عابرة، مارون عبود، مقالة قصائد ديوان نزار قباني، دار مارون عبود، بيروت، 1959 :66.
43. قصتي مع الشعر، المصدر السابق :36.
44. والكلمات تعرف الغضب، المصدر السابق : 27.
45 . العصافير لا تطلب تأشيرة دخول، المصدر السابق :39.
46. ينظر: التجربة الأدبية في دائرة التصور، المصدر السابق :35.
47. النرجسية في أدب نزار قباني، المصدر السابق :254.
48. اللغة والتواصل الاجتماعي، د. فتحي علي يونس وآخرون،منشورات ذات السلاسل، الكويت،1995 :6.
49. العصافير لا تطلب تأشيرة دخول ، المصدر السابق :123.

50. المصدر السابق: 143.
51. اللغة والتواصل الاجتماعي، المصدر السابق :7.
52. المصدر السابق :9.
53. العصافير لا تطلب تأشيرة دخول، المصدر السابق :55.
54. المصدر السابق :57.
55. والكلمات لا تعرف الغضب،:113- 114.
56. لغة الحوار ودلالاته في الرواية العراقية، باقر جواد، مجلة الطليعة الأدبية، العدد2، السنة السادسة، شباط 1980 :17.
57. المصدر السابق : 18.
58. المصدر نفسه : 19.
59. العصافير لا تطلب تأشيرة دخول، المصدر السابق : 20.
60. علم النفس والأدب، د.سامي الدروبي:20.
61. الكلمات تعرف الغضب، المصدر السابق :64.
62. المصدر السابق :65.
63. المصدر نفسه :65.
64. المصدر نفسه :66.
65. المصدر نفسه :67.